١٨- باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلال ﴾ [يونس : ٣٢] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْء ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] أي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وَقالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران :٣١] وَالآياتُ فِي البَابِ كَثيرةٌ مَعلُومَةٌ .

- **قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلال ﴾ .**

والحق كل ما وافق الكتاب والسنة , فما وافق النص في منطوقه أو مفهومه فهو حق وصدق وعدل وحكمة , وما خالفهما فهو الضلال والإحداث في الدين مخالف لمقتضى الدليل من لزوم الاتباع والنهي عن الابتداع وحيث كان مخالفاً للحق فهو إذاً ضلال؛ فالإحداث من الضلال , والضلال رد؛ فأفاد ذلك أن كل إحداث في الدين فهو رد لأنه ضلال وكل ضلال فهو رد .

- **وَقالَ تَعَالَى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْء ﴾ .**

(**مَا فَرَّطْنَا**) أي : ما أهملنا (**فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**) أي: الجميع علمهم عند الله, ولا ينسى واحدًا من جميعها من رزقه وتدبيره, سواء كان بريًا أو بحريًا, كما قال (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) .

قال السعدي : أي ما أهملنا ولا أغفلنا , في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء , بل جميع الأشياء , صغيرها وكبيرها , مثبتة في اللوح المحفوظ , على ما هي عليه , فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم.

- فالمراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ , أي : ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً فلم نكتبه , فالله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ .
- **قال ابن القيم** : وقالت طائفة المراد بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس وكان هذا القول أظهر في الآية والسياق يدل عليه فإنه قال (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) وهذا يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والأكل والتقدير الأول وأنها لم تخلق سدى بل هي معبدة مذللة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وما تصير إليه ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها ثم قال إلى ربهم يحشرون فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي كلها قد كتبت وقدرت وأحصيت قبل أن توجد فلا يناسب هذا ذكر كتاب الأمر والنهي وإنما يناسب ذكر الكتاب الأول .

وقيل : المراد بالكتاب هنا , القرآن , ورجحه الرازي لكنه قول ضعيف .

وفي هذه الآية دليل لأحد مراتب الإيمان بالقدر وهي الكتابة , فإن مراتب القدر أربعة :

- **وَقالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .**

هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) ، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

قوله (إِلَى اللَّهِ) أي : إلى شريعته . وقوله (ورسوله) إن كان حياً فإلى شخصه ، وأما بعد موته إلى سنته .

قال القرطبي : قوله تعالى (فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرسول) أي : رُدّوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسؤال في حياته ، أو

بالنظر في سنته بعد وفاته ﷺ ؛ هذا قول مجاهد والأعمش وقَتادة ، وهو الصحيح.

- **وَقالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .**

يحتمل أن المشار إليه ما سبق (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم ...) ويحتمل أن المراد ما علم من دين الله ، وهو اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وإخلاص العبادة له .

قال ابن القيم في الصراط المستقيم : وحقيقته شيء واحد ، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه ، ولا طريق إليه سواه ، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله ، وجعله موصلاً لعباده إليه ، وهو إفراده بالعبودية ، وإفراد رسله بالطاعة .

- لقد وصف الله تعالى صراط محمد ﷺ بأنه الصراط المستقيم فأفاد ذالك أن ما عداه من الصراط المعوج الفاسد التالف الضال، والإحداث في الدين مخالف للصراط المستقيم ، فهو من الصراط المعوج الضال الفاسد التالف وما كان كذلك فهو رد على صاحبه .

- **وَقالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .**

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) .

قال ابن القيم : قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله ، فأنزل الله آية المحنة (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) .

فمتابعة الرسول قولاً وفعلاً دليل على محبة الله تعالى .

(**يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**) هذه الثمرة الأولى ، وما أعظمها من ثمرة .

قال الشنقيطي :قوله تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتبعوني يُحْبِبْكُمُ الله) الآية.

صرح تعالى : في هذه الآية الكريمة أن اتباع نبيه موجب لمحبته جل وعلا ذلك المتبع ، وذلك يدل على أن طاعة رسول الله ﷺ هي عين طاعته تعالى ، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى (مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله) وقال تعالى (وَمَآ آتَاكُمُ الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتهوا) .

(**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**) هذه الثمرة الثانية ، والمغفرة : التجاوز عن الذنب مع الستر ، والمعنى : يمحو الله عنكم الذنوب والآثام ويسترها .(**وَاللَّهُ غَفُورٌ**) الغفور اسم من أسماء الله تعالى ، فيجب إثبات ذلك ، وهو أيضاً هو دال على صفة المغفرة الواسعة لله تعالى كما سبحانه (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) .

قال السعدي : هذه الآية فيها وجوب محبة الله ، وعلاماتها ، ونتيجتها ، وثمراتها ، فقال (قل إن كنتم تحبون الله) أي : ادعيتم هذه المرتبة العالية ، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى ، بل لا بد من الصدق فيها ، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله ، في أقواله وأفعاله ، في أصول الدين وفروعه ، في الظاهر والباطن ، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى ، وأحبه الله وغفر له ذنبه ، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته ، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى ، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله ، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها ، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها ، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق ، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله ، وما نقص من ذلك نقص .

وَالآياتُ في البَابِ كَثيرةٌ مَعلُومَةٌ . ؟؟؟ لو حذفت ؟

١٦٩-عن عائشة رَضِي الله عنها ، قَالَتْ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ

وفي رواية لمسلم : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ** » .

(**مَنْ أَحْدَثَ**) أي :ابتدع واخترع شيئاً ليس له أصل .

(**فِي أَمْرِنَا**) أي : ديننا وشريعتنا .

(**مَا لَيْسَ مِنْهُ**) مما ينافيه ويناقضه .

(**فَهُوَ رَدٌّ**) أي : مردود على صاحبه وعليه إثمه .

١-هذا الحديث أصل في رد البدع المستحدثة في دين الإسلام .

قال النووي : هذا الحديث مما ينبغي حفظه ، واستعماله في إبطال المنكرات ، وإشاعة الاستدلال به .

وقال الشيخ الألباني : هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه ﷺ ، فإنه صريح في رد إبطال كل البدع والمحدثات .

والبدعة لغة : الشيء المستحدث .

واصطلاحاً : التعبد لله بما ليس عليه النبي ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : البدعة في الدين: هي ما لم يشرعْه الله ورسوله ﷺ وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب، ولا استحباب .

وقال الشاطبي رحمه الله تعالى: البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعيَّة، يُقصدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله سبحانه .

وقال الحافظ ابن رجب : والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً ، وإن كان بدعةً لغةً، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدِّين يرجع إليه فهو ضلالة ، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

٢- جاءت النصوص الكثيرة في ذم البدع :

أ-قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) .

ب- وقال تعالى (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) .

وهذا فيه دليل على أن الدين لابد فيه من الإذن أي أن يرد بكونه من الدين دليل من الله تعالى إما من الكتاب وإما من السنة فما لا دليل عليه فلا يجوز أن يوصف بأنه من الدين ، بل هو بدعة ومحدثة ،

ج-وقال تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، وهذا فيه الفيصل بين المتبع والمبتدع ، فمن زعم أنه يحب الله تعالى فإن علامة هذه المحبة إتباع هذا النبي الكريم ﷺ ، فعلى قدر الإتباع تكون المحبة , فالمحبة مصداقها وبرهانها الإتباع ، فدل ذلك على أن المحدث والمبتدع كاذب في دعواه أنه يحب الله ويحب رسوله ﷺ .

د-وقال - عز وجل – (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط وهم أهل البدع ، فهذه الآية تشمل النهي عن جميع طرق أهل البدع .

هـ- وحديث الباب (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا ...) .

و-حديث جابر – الآتي – قوله ﷺ (وكل بدعة ضلالة) رواه مسلم .

ز- حديث العرباض بن سارية – وقد تقدم – (... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) رواه الترمذي .

٣- شروط العمل الصالح :

لا يقبل أي عمل مما يُتقرّب به إلى الله – عز وجل – إلا بشرطين:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له .

لقول النبي ﷺ (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى) متفق عليه .

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ .

لقول النبي ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

فمن أخلص أعماله لله، متّبعاً في ذلك رسول الله ﷺ فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) ، ومن جمع الأمرين فهو داخل في قوله – عز وجل – (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ) ، وفي قوله تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) .

فحديث عمر ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضي الله عنها (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ميزان للأعمال الظاهرة، فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كلّه: أصوله، وفروعه، ظاهره وباطنه، أقواله، وأفعاله .

٤-خطر البدعة على الفرد والمجتمع :

أولاً : عمله عليه مردود وهو مأزور غير مأجور .

لحديث الباب .

ثانياً : البدعة مانعة من شفاعة المصطفى ﷺ ، ولذا فالمبتدع لا يرد حوض النبي ﷺ ومحروم من شفاعته.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يا رب أصحابي, فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) متفق عليه .

وهذا فيه بيان شيء من عقوبة الإحداث في الدين وهو أنه يذاد عن الشرب من الحوض والعياذ بالله .

ثالثاً : صاحب البدعة ملعون على لسان الشريعة .

لقوله ﷺ (من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) متفق عليه .

رابعاً : المبتدع عليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة .

فإن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

خامساً : صاحب البدعة لا يزداد من الله إلا بعداً .

وهذا يدل عليه حديث الخوارج مع ما فيهم من تعبد واجتهاد.

سادساً : البدعة رافعة للسنن ومميتة لها .

وقد قيل: من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

سابعاً : البدعة سبب الهلاك، .

فإذا كان شؤم المعصية على الفرد والمجتمع كبير، كما في غزوة أحد وما حصل من الرماة، وكذلك ما حصل للنبي ﷺ عندما خرج ليخبرنا بليلة القدر فوجد رجلين يتلاحيان فنُسيها ، فكيف بشؤم البدعة وهي أشد منها رتبة ودرجة.

ثامناً : البدعة بريد الكفر .

لأن المبتدع لا يقف عند حد.

تاسعاً : المبتدع متهم للنبي ﷺ .

كما قال مالك إمام دار الهجرة: من ابتدع في الإسلام بدعة فقد اتهم النبي ﷺ بالخيانة وكتمان شيء من الحق.

عاشراً : البدعة تفتح باب الخلاف الذي لم يُبن على دليل بل على الأهواء، وتلقي العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام، وما ذلك إلا لأنها تقتضي التفرق شيعاً، وقد أشار القرآن إلى ذلك، كما في قوله تعالى (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

الحادي عشر : المبتدع معاند للشرع، ومشاق له، وقد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع، وألزم الخلق الجري على سَنَنَها، وصار هو المنفرد بذلك.

٥- البدعة تستلزم تكذيب القرآن ، لأن الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم) .

فهذه الآية الكريمة تدل على تمام الشريعة وكمالها ، وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق .

قال ابن كثير : هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره .

وتستلزم : القدح في الشريعة وأنها لم تكتمل .

وتستلزم : القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها ، فكل من سبق هذه البدع دينهم ناقص ؟؟ وهذا خطير !! .

وتستلزم : القدح في رسول الله ﷺ ، لأن هذه البدعة إما أن يكون الرسول لم يعلم بها وحينئذٍ يكون جاهلاً ، وإما أن يكون قد علم بها ولكن كتمها ، فيكون كاتماً للرسالة أو بعضها .

٦- من أقوال السلف :

قال ابن مسعود : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ، وكل بدعة ضلالة . رواه أبو خيثمة .

وقال : اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة . رواه ابن المبارك في الزهد

وقال ابن مسعود ﷺ : إياكم والتبدع والتنطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق . رواه الدارمي

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب . إسناده صحيح .

و قال رجل لابن عباس أوصني ، قال : عليك بتقوى الله ، والاستقامة ، واتبع ولا تبتدع .

وكان أبو الأحوص يقول لنفسه : يا سلاّم نَمْ على سنة ، خير من أن تقوم على بدعة .

وعن الحسن البصري قال : لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليك فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك .

وقال رجل من أهل الأهواء لأيوب السختياني : يا أبا بكر أسألك عن كلمة ، فولى وهو يقول بيده ولا نصف كلمة .

وقال إبراهيم النخعي : لو أن أصحاب محمد مسحوا على ظُفُر ، لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم . رواه الدارمي

وقال ابن كثير في تفسيره : ومن لم تسعه طريقة الرسول ﷺ وطريقة المؤمنين السابقين فلا وسّع الله عليه .

وقال قتادة : إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تُذكر حتى تُحذر .

قال ابن الماجشون : سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لأن الله

يقول : (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) فما لم يكن يومئذٍ ديناً ، فلا يكون اليوم ديناً " .

وقال الإمام أبو عثمان النيسابوري: من جلس إلي صاحب بدعة حُرِمَ الحكمة ، قال: من أمَّر السنة على نفسه قولًا وعملًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولًا وعملًا نطق البدعة .

وقال يونس بن عبيد : لا تجالس سلطاناً ولا صاحب بدعة

وقال سفيان : المسلمون كلهم عندنا على حالة حسنة إلا رجلين , صاحب بدعة أو صاحب سلطان .

وقال يحيى بن أبي كثير : إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره .

وقال ابن المبارك : ليكن مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجالس صاحب بدعة .

وقال الفضيل بن عياض : لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة .

وقال الفضيل أيضاً : من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام .

وقال رحمه الله تعالى : من جلس مع صاحب بدعة فاحذروه ، ومن جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة ، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب البدعة حصن من حديد .

وقال الحسن البصري ﷺ : لا تجالس صاحب بدعة فيمرض قلبك .

وقال سفيان الثوري : من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا يلقيها في قلوبهم .

وروى ابن بطة عن أيوب أنه قال : لست ترد عليهم بشيء أشد من السكوت .

وقال الإمام البربهاري رحمه الله : إذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع : فاحذره ؛ فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر .

وقال الإمام ابن سيرين رحمه الله تعالى : أسرع الناس ردة أهل الأهواء .

قال ابن تيمية رحمه الله : ومثل التحذير من أهل البدع أمر واجب باتفاق المسلمين ، بل هو من جنس الجهاد في سبيل الله .

وقال رحمه الله : البدع هي مبادئ الكفر، ومظانّ الكفر، كما أنّ السُّنن المشروعة هي مظاهر الإيمان .

قال الأوزاعي رحمه الله : لا تمكنوا صاحب بدعة من جدل ، فيورث قلوبكم من فتنته ارتياباً .

وقال الفضيل بن عياض : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، ولا يمكن أن يكون صاحب سنّة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق .

وقال الإمام البغوي رحمه الله : وقد مضت الصحابة والتابعون ، وأتباعهم ، وعلماء السنن على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم . [شرح السنّة ، للبغوي : ٢٢٧/١] .

وقال الشاطبي : إن فرقة النجاة ، وهم أهل السنة، مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم، و التنكيل بمن انحاش إلى جهتهم، ونحن مأمورون بمعاداتهم ، وهم مأمورون بموالاتنا والرجوع إلى الجماعة . [الاعتصام ، للشاطبي : ١٢٠/١].

قال ابن قدامة : كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع ، و النظر في كتبهم .

وعن مجاهد قال : كنت مع ابن عمر فثوّب رجل في الظهر أو العصر ، فقال : اخرج بنا فإن هذه بدعة . رواه أبو داود

وعن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر فقال : الحمد لله والسلام على رسول الله ، فقال ابن عمر : وأنا أقول : الحمد لله والسلام على رسول الله ، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، علمنا أن نقول : الحمد لله رب العالمين) . رواه الترمذي والحاكم

٧-أن ديننا كامل فلا يحتاج إلى من يكمله .

قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم ...) .

وعن أبي ذر قال (تركنا رسول الله ﷺ ما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا فيه علماً ، قال ﷺ : ما بقي شيء يقرب إلى الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم) رواه الطبراني .

قال ابن الماجشون : سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، لأن الله يقول : اليوم أكملت لكم دينكم ، فما لم يكن يؤمئذ ديناً ، فلا يكون اليوم ديناً .

٨-وجوب معرفة البدع للتحذير منها والتنفير .

قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

٩-أن البدع أحب إلى إبليس من المعصية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع .

١٠- الأصل في العبادات المنع حتى يرد الدليل .

١٧٠-وعن جابر ﷺ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَينَاهُ ، وَعَلا صَوتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيشٍ ، يَقُولُ : « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ » وَيَقُولُ : « بُعِثتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَينِ » وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصبُعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى ، وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتَابُ الله ، وَخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلالَةٌ » ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤمِنٍ مِنْ نَفسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ » رواه مسلم .

(**احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ**) هذه حالات تعتري الخطيب الناصح المتحمس .

(**وَعَلَا صَوْتُهُ**) **أي** : ارتفع .

(**وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ**) إنما يفعل ذلك ، إزالة للغفلة من قلوب الناس ، حتى يتمكن فيها الوعظ فضلَ تمكن ، ويؤثر فيها حق تأثير .

(**حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ**) هو الذي يجيء مخبراً للقوم بما دهمهم من عدو , **الإنذار**: الإخبار مع التخويف .

(**وَخَيْرَ اَلْهَدْيِ**) ضبط بضم الهاء وفتح الدال (هُدَى) فيكون المعنى: الدلالة والإرشاد، وضبط بفتح الهاء وسكون الدال (هَدْي) فيكون المعنى أحسن الطرق .

(**وَشَرَّ اَلْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**) جمع محدثة ، والمراد كل ما أحدث في الدين .

(**ضلالة**) الضلالة ضد الهداية .

١- الحديث دليل على التحذير من البدع ، لقوله (كل بدعة ضلالة) .

قال ابن رجب رحمه الله : هذا من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات ، أو الأعمال ، أو الأقوال الظاهرة والباطنة .

٢- الحديث دليل على أن كل البدع مذمومة؛ لقول أعلم الخلق وأصدق الخلق وأنصح الخلق محمد ﷺ (كل بدعة ضلالة)، كل بدعة هذه جملة من صيغ العموم التي هي من أقوى الصيغ، صادرة ممن هو أعلم الخلق بشرع الله وأصدق الخلق فيما يقول وأنصح الخلق لعباد الله وأفصح الخلق في نطقه قال: (كل بدعة ضلالة)، ولم يقسمها إلى بدعة حسنة ولا بدعة سيئة، كل بدعة ضلالة، والضلالة سوء بلا شك .

- فإن قيل : ما الجواب عن حديث (من سن في الإسلام سنة حسنة) ؟

فالجواب : معنى قوله ﷺ (من سنّ في الإسلام سنّة حسنة) أي : من أحيا سنّة من سنن النبي ﷺ أو دلّ عليها أو أمر بها أو

عمل بها ليقتدي به من يراه أو يسمع عنه .

ويدل عليه سبب الحديث : لأنه ﷺ قال ذلك بمناسبة ما فعله أحد الصحابة من مجيئه بالصدقة في أزمة من الأزمات، حتى اقتدى به الناس وتتابعوا في تقديم الصدقات.

ويدلّ على ذلك أيضا حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَثَّ عَلَيْهِ (أي حثّ على التصدّق عليه) فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدِي كَذَا وَكَذَا قَالَ فَمَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلاّ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلاً وَمِنْ أُجُورِ مَنْ اسْتَنَّ بِهِ وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ اسْتَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاسْتُنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ كَامِلاً وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا .

فيتبيّن من خلال ما سبق بما لا يدع مجالا للشكّ أنّه لا يمكن أن يكون مراد النبي ﷺ تجويز الابتداع في الدّين أو فتح الباب لما يسمّيه بعض الناس بالبدعة الحسنة وذلك لما يلي:

– فإن قال قائل: أليس قد روي عن عمر ﷺ أنه حين وجد الناس في رمضان في القيام على إمام واحد خرج ذات ليلة فقال: (نعمت البدعة هذه)؟ قلنا: بلى صح ذلك عن عمر، ولكن عمر ﷺ سماها بدعة باعتبار ما سبقها من تفرق الناس، وإلا فهي سنة، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه جماعة في رمضان ثلاث ليال، ثم تركها وقال: خشيت أن تفرض عليكم. فلما زال هذا المحظور– وهو: أن تفرض علينا– صارت إعادتها سنة، فهو في الحقيقة تجديد سنة ليس إحداث سنة، فهي بدعة إذاً باعتبار ما سبق من كون الناس يصلون أوزاعاً. فإن قال قائل: لماذا غفل عنها أبو بكر وعمر في أول خلافته؟ قلنا: لا غرابة في ذلك، أبو بكر رضي الله عنه مدة خلافته قصيرة، هي سنتان وأربعة أشهر وأيام، وكان رضي الله عنه مشغولاً بشؤون المسلمين التي هي أكبر من هذا، أكبر من أن يجتمعوا في رمضان على إمام واحد؛ لأن أصل قيام رمضان سنة،

٣–الحديث فيه أنه يستحب للخطيب أن يضخم أمر الخطبة ويرفع صوته ، ويحرك كلامه ، ويظهر غاية الغضب والفزع ، لأن تلك الأوصاف إنما تكون عند اشتدادها . (الشوكاني) .

قال الصنعاني : في الحديث دليل على أنه يستحب للخطيب أن يرفع بالخطبة صوته .

٤– ذهب أصحاب الأئمة الأربعة إلى أن رفع الصوت بالخطبة زيادة على القدر الواجب حسب الطاعة سنة من سنن الخطبة . لحديث الباب .

ولحديث النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : (أنذركم النار ، أنذركم النار ، حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا ، قال : حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه) . رواه أحمد .

ولأن رفع الصوت بالخطبة أبلغ في إعلام الناس ، فيتحقق المقصود بها .

٥–استحباب قول : (أما بعد) في الخطب .

وكان هدي النبي ﷺ أن يقولها .

فقد جاء في الحديث : (أن النبي ﷺ حمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار) .

وجاء في حديث آخر : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فوالله إني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إلي من الذي ...)

وقد اختلف العلماء في أول من قالها :

فقيل : داود عليه السلام . رواه الطبراني وفي إسناده ضعف .

وقيل : أول من قالها يعقوب ، رواه الدار قطني .

وقيل : أول من قالها يعرب بن قحطان .

وقيل : كعب بن لؤي .

وقيل : قيس بن ساعدة .

قال الحافظ : " والأول أشبه " .

٦-أنه ينبغي أن يكون مضمون الخطبة : الثناء على الله وحمده ، وبيان العقيدة الصحيحة ، والتحذير من البدع ، والدعوة إلى السنة ، وفيها الترغيب والترهيب .

٧-استحباب سلوك طريق محمد ﷺ .

٨-أن كل طريق غير طريق محمد ﷺ فهو ضلال .

٩-قوله : (يحمد الله) دليل على استحباب حمد الله في الخطبة .

وقد اختلف العلماء في حكم حمد الله في الخطبة على قولين :

القول الأول : أنها ركن ، فلا تصح الخطبة بدونها .

وهذا مذهب الشافعية والحنابلة .

لحديث الباب : (يحمد الله ويثني عليه ...) .

قال النووي : " فيه دليل للشافعي أنه يجب حمد الله في الخطبة ، وينبغي لفظه ، ولا يقوم غيره مقامه " .

ولحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم) . رواه أبو داود

القول الثاني : أنه سنة ليس بواجب .

وبه قال الحنفية والمالكية ، وهو ظاهر كلام ابن تيمية ، والشيخ السعدي .

قال شيخ الإسلام : " ولا يكفي في الخطبة ذم الدنيا وذكر الموت ، بل لا بد من مسمى الخطبة عرفاً ، ولا تحصل باختصار يفوت المقصود " .

وقال الشيخ السعدي : (... والصواب أنه إذا خطب خطبة يحصل بها المقصود والموعظة ، أن ذلك كاف وإن لم يلتزم بتلك المذكورات ، نعم من كمال الخطبة الثناء على الله وعلى رسوله ...) .

والراجح الأول .